هل تنجح ألمانيا فى تحويل أوروبا إلى كتلة اقتصادية ثالثة؟

◄ د. م. نادر رياض

لا شك فى أن العالم بمنطق القوة والهزيمة والنصر يقف مفتقداً للمنطق والمعيار القابل للقياس عليه عندما يرى دولة ألمانيا اليوم مقارنة بالأمس.

فدولة ألمانيا التى انهزمت واستسلمت دون قيد أو شرط وسمحت لأربعة جيوش لدول مختلفة أن تحتل عاصمتها برلين وتقسمها إلى أربعة أجزاء تدير فيها شئونها كيفما شاءت وأينما أرادت .. فينهبون من ثرواتها عقاباً لها وتنكيلاً بها ، وقد سجل التاريخ أن فرنسا سمحت لنفسها بمصادرة ٢ مليون عامود حامل للكابلات الكهربائية من مخازن السكك الحديدية الألمانية ونقلها إلى فرنسا .. والقائمة طويلة يضيق عنها المجال.

أما دولة ألمانيا اليوم التى نراها وقد تفوقت على ثلاث دول أوروبية كانت محتلة لها بعد هزيمتها أمامهما فى الحرب العالمية الثانية ونلك باستخدام القوة السلسة ألا وهى قوة العمل والإخلاص للدولة الألمانية التى وظفتها قوى الشعب العاملة بإصرار ممتد منذ اليوم الأول لما بعد الاستسلام لاستعادة دولتهم ونلك بالانخراط فى العمل كهدف أسمى التفوا حوله وحولوه إلى أداة بناء فاقت كل أليات الدمار التى لحقت بألمانيا .

فها هى الوحدة الألمانية بعد مرور ٣٢ عاما وقد فرضت نفسها على القوى العظمى ما لبثت أن حولها هيلموت كول إلى وحدة أوروبية ... وبتحرير شهادة ميلاد الاتحاد الأوروبى حررت فى ذات اللحظة شهادة وفاة الاتحاد السوفيتى .

وها هى ألمانيا تقود المجتمع الأوروبى بل وتقوم بتوحيد أوروبا فى اتحاد أوروبى قوى تقف عملته الموحدة موقف الندية أمام باقى العملات القوية المستقرة

ولنا أن نسلط الضوء على لمحة من مشهد تاريخى لم تمحه الأيام كان فيه تكرار للإصرار الألمانى على إعادة بناء الدولة وهزيمة الهزيمة بالعمل والإنتاج والإخلاص لدولتهم الجريحة .

المشهد مكانه مدينة أيسن بالقرب من دوسلدورف، موقعه المقر الرئيسى لمصانع كروب للصلب حيث المكابس والسابك وآلات التشغيل الشامخة التى تخصصت فى صناعة المدافع العملاقة وإنتاج الصلب الممتاز الخاص بهذه الصناعة وكان المشهد دمارا شاملا فى الأبنية والخرائب فى كل مكان إلا أن الآلات والمعدات بقيت سليمة وشامخة تنطق بعظمة الصناعة الألمانية لا ينقصها سوى عمالها الذين تشتتوا ولم يبق منهم أحد .

وفى جانب من المشهد إعلان مكتوب على ورقة داخل حافظة بلاستيك معلق على باب المصنع المغلق عبارة عن دعوة لعمال مصانع كروب للعودة إلى العمل مع الإحاطة أن المصنع غير قادر على سداد أية أجور للعمال وأن العودة للعمل سيقابلها وجبتا طعام يوميا .

وللعجب الشديد أتى جميع عمال المصنع فى اليوم التالى عن بكرة أبيهم يرتدون ملابس العمل الزرقاء مصطحبين معهم ما أتيح من الأبناء والبنات فى سن العمل لينضموا للكتيبة العمالية المخلصة لمصنعها العريق الذى يمثل وطنهم الأصغر ونلك كأول تجمع لإرادة شعبية عمالية تسعى للنهوض بالوطن الأكبر ألمانيا الراكعة تحت وطأة وثيقة الاستسلام الموقعة دون قيد أو شرط. صدر فى نفس اليوم من إدارة المصنع أول أمر تشغيل لقسم المكابس والتشكيل الآلى يقضى بإنتاج أعداد من أطباق الطعام المصنوعة من الصاج تخصص لآكل العمال لزوم وجبتى الطعام والتى تمثل الأجر اليومى لكل عامل . بذا نرى أن العزيمة الألمانية تفوقت على هزيمة الحرب العالمية الثانية وسبقت المنتصرين عليها.

ولا يخفى على أحد أن العالم فى واقعه الحالى يحتاج إلى ثورة صناعية بعد أن انحسر المد عن عصر البخار وعصر الكهرباء ودخلنا فى عصر الالكترونيات والتى فى واقعها لا تصنع ثورة صناعية حقيقية ، إذ أنها بحاجة لقوى محركة تعتمد على التكنولوجيا الحديثة .

ولعل البعض يتفق معى فى أن ألمانيا المستقبل هى الأكثر تأهيلا لسبر أغوار الثورة الصناعية الجديدة التى يحتاجها العالم لصناعة مستقبل يشارك فيه دول العالم الثالث بدور ايجابى يفسح المجال له للقيام بصناعات مغذية يحتاجها العالم المتقدم للإمداد بها بأسعار اقتصادية تساعده على المنافسة ، مما سيقرب بين دول العالم الثالث ودول التكتلات الاقتصادية ويضيق الفجوة بينهما إذ أننا نحيا عالما واحدا ولا تبتعد كثيراً مقدمته عن مؤخرته ، فكل منهما يحتاج الآخر .

وها نحن نحيا الآن الصراع الدائر بين روسيا و أوكرانيا الذى هو فى واقع الأمر الصراع من أجل إعلان ميلاد كتلة منافسة للقطب الأوحد الأمريكى لظهور تعددية قطبية جديدة منافسة . وهنا فان الفرصة ستكون متاحة أمام الاتحاد الأوروبى بقيادة ألمانيا للتقدم بخطوة للأمام أتوسمها ضرورية لتقف بين التكتلات البازغة الجديدة باعتبارها كتلة مستقلة من تكتل مجموعة عدم الانحياز.

ولا شك أن العالم سيؤيد الكتلة الأوروبية الاقتصادية الجديدة بقلبه وعقله، متمنيا لها النجاح فى مقصدها باعتبارها الكتلة الديمقراطية المستقلة التى ليست لها أطماع استعمارية أو احتكارية على أية مستوى من المستويات

فلننتظر انتهاء الصراع الروسى الأوكرانى والذى سينتهى عما قريب والذى سيمهد لميلاد عالم جديد أكثر تعددية وأرحب توازناً وأقل استقطابا للاحتكارات الدولية وأكثر قدرة على إرساء مفاهيم الحق والعدل والشرعية والديمقراطية التى طال التشدق بها دون تطبيق فعلى لها على أرض الواقع .. وإن غداً لناظره قريب .

■ رجل صناعة ورئيس مجلس الأعمال المصرى - الألمانى

www.naderriad.com